الشخصيّة الإنسانيّة الربانيّة: وسطيّة بين الأنانيّة والرّهبانيّة

محمّد بن داود سماروه[1]

المستخلص

يُبيّن هذا المقال أنّ الأنانيَّة هي صفة الإنسان الَّذي يهتمّ بنفسه وملذّاته وما يشتهيه هواه، مع إغفال الآخرين ومصالحهم. وأنَّ الرَّهبانيَّة هي صفة الإنسان المنقَطِع إلى العبادة والتَّألُّه، مع قطع شهوات النَّفس والعناية بها وما تقتضيه فطرتها، وكذا الانقطاع عن الآخرين والانشغال دون إصلاح أحوالهم.

فالأنانيَّة فيها الاهتمام بالجانب الدُّنيوي المحض، والرَّهبانية فيها الاهتمام بالجانب الدِّيني وحسب، وتشترك الأنانيَّة والرَّهبانية في عدم الاهتمام بالآخرين وعدم العناية بإصلاحهم ودون رعاية مصالحهم.

ويخلص المقال إلى أنَّ مطلب الشخصيَّة المسلمة (الإنسانيَّة في طبعها، والرَّبانيَّة في توجُّهها) هو التوسُّط والاعتدال في الاهتمام بالجانبين: الدِّيني والدُّنيوي، مع الاهتمام بمصالح الآخرين وإصلاحهم.

وتميّز المسلم؛ هو اتِّصافه بالرَّبانية والتزامه بالأخلاقيَّة في جميع أنشطته الذاتية وخدماته المجتمعيَّة، وسعيه إلى التفوُّق المادِّي مع السُّمو الروحي، وربطه الدُّنيا بالآخِرة.

وأنّ المسلم الذي يُخرجه كتاب الله عزَّ وجل وسنّة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم من خلال منهج التربية الإسلاميَّة ومطلب التَّنشئة الاجتماعيَّة، هو الشخصيَّة التي تجمع بين الرَّبانية والإنسانيَّة، شخصية صالحة في ذاتها مُصْلِحَة لغيرها، نافعة في دنياها وتسعى للفلاح في أخراها، وسطيَّة في مُنْطَلَقِها وَمَوْقِفِهَا شاهدة على غيرها.

الكلمات المفتاحية : الربانية – الوسطية – الأنانية – الرهبانية

[1] *أستاذ مساعد بقسم أصول الدّين، كليّة الدّراسات الإسلاميّة والقانون بجامعة فطاني*

Rabbanic Human Personality: Wasatiyyah between Selfishness and Monasticism

Mahammad Samaroh[1]

Abstract

This article shows that selfishness is a human characteristic that cares about one's own desires and pleasures and ignores others' and their interests. While monasticism is a description for the person who devoted his life for God's worshipping, and overrides the human desires and primitive needs, as well as Isolated from the others and their concerns without trying to improve their conditions. Selfish' attention is purely worldly, whereas the monastic's attention is about religious aspects only. Selfishness and monasticism share the lack of interest to others, and not guide them for better life.

The article concludes that The personal Muslim demand (humanity trait and Rabbanic direction) is mediation and moderation in the interest of both sides: the religious and secular attention to the interests of others and their good. What makes the Muslim distinction is being Rabbanic and Commitment to the ethics in his activities and community services with ambition to gain material superiority, and spiritual highness through connecting life with hereafter. Therefore, a Muslim who is brought up by the Book of Allah the Almighty and the Sunnah of His Messenger, peace be upon him, through Islamic education curriculum and requirements of the social bringing up, has a personality that combines the divine and human, who is righteous by itself and good to others, useful in this life, aims to win in the hereafter, median in his perspectives and its attitudes, and being witness on others.

Keywords: Rabbanic, Wasatiyyah, Selfishness, Monasticism

[1] *Asst. Prof. in Department of Usuluddin ; faculty of Islamic Studies and Laws, Fatoni University*

الشخصيّة الإنسانيّة الربانيّة: وسطيّة بين الأنانيّة والرّهبانيّة

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين القائل:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ) [سورة آل عمران: 110]، فجعل من لوازم خيريّة الأمّة المسلمة، وتميّزها عن سائر الأمم، حمل الرّسالة السّامية بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والإيمان بالله، وبهذا يسود الأمن الاجتماعي والرّخاء الاقتصادي .

وَالصّلاَةُ وَالسّلاَمُ عَلَى رَسُوْلِهِ المبعوث رحمة للعالمين القائل:" الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ" [ابن ماجة، السنن، باب: الصبر على البلاء، برقم: (4032). وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة].

أمّا بعد؛

فإنَّ مِنْ أهَمّ ما تميَّزَتْ به النُّبوة تاريخياً، أنّها رسالة الاستخلاف في الأرض وإعمارها بِمُرْتَكَز الإيمان بالله، وَمُنطلَق العمل الصَّالح، إضافة إلى أنّها رسالة هداية الإنسان للرُّقي بها إلى الشخصيّة الربانيّة، بإخراجه مِنْ عبادة العباد إلى عبادة الله، وَمِنْ جَوْر الأديان الوضعيّة، إلى عدل الإسلام، وإعلان أنَّ الشريعة الإسلاميَّة شريعة العدل والفضل، وتقرير وحدة الجنس البشري، وتحطيم فوارق اللَّون والعِرق والجِنْس، وسائر الفوارق القَسْرِيَّة والدَّعَوات العَصَبيّة، وجَعْل ميزان الكرامة الشخصيَّة: بالتقوى والعمل الصّالح..ذلك أنّ التَّقوى أمرٌ كسبي، وفرصة العمل الصَّالح متكافئة، حيث الارتقاء إليها بمقدور الناس جميعاً.

إنَّ كمالَ بُنْيَان النبوّات وَحُسْنَه بِلَبِنَة النُّبُوَّة الخاتمة، يقول الرَّسول صَلَّى الله عليه وسلَّم:"إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ" [البخاري، الصحيح، باب: خاتم النبيّين صلى الله عليه وسلَّم، برقم:(3535)]، وقد تَمَحْوَرَتْ بعثة النبوَّة في إتمام حسن الأخلاق، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: "بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ" [التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، برقم:(1674) وَهَذَا الْحَدِيثُ يَتَّصِلُ مِنْ طُرُقٍ صِحَاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرُهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَّم]، وحضارة رسالة الإسلام بالتَّوحيد والتَّسليم بالوحي لإلحاق الرَّحمة إلى العالمين، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْن قُلْ إِنَّمَا يُوْحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُوْن) [سورة الأنبياء: 107– 108]

ولتحقيق هذه الرّسالة السَّامية أنْ ينطلق القائم بها من ثقافة ما أبانه الرّسول صلَّى الله عليه وسلَّم من أنَّ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" [مسلم، الصحيح، باب: بيان أنَّ الدِّين النصيحة، برقم: (55)]، وَ:"الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ" [مسلم، الصحيح، باب: تفسير البر والإثم، برقم: (2553)]، لذلك كان خُلُق التديُّن عطاءاً، وإيثاراً، وإحسانًا، وعفواً، وحبّاً، ورحمةً.

والمسلم الحق، هو إنسان الاحتساب، الذي يبتغي بعمله وجه الله وثوابه، ولا يربط عمله بجزاء الدنيا، ولا يحبط ويرتكس إذا لم يتحقَّق له الجزاء الدنيوي .. إنَّه إنسان الواجب، الذي لا يرى رسالته إلاّ في العطاء، وفي ميزانه: الأكرم هو الأتقى، والأتقى هو الأكرم.. الإنسان الحق، إنسان الإنتاج، لا إنسان الاستهلاك، إنّه يبذل ماله

وروحه جهاداً في سبيل رفع الظلم، وتحرير الإنسان .

وهذا المسلم المنشود، هو الذي يلتصق بهموم الناس، لا يغادرها، ولا ينفصل عنها، متأسياً بالرّسول القدوة صلَّى الله عليه وسلَّم، الذي بعثه الله رسولاً من مجتمعه وقومه، حتى كان لا يتميّز عنهم بطعام، أو لباس، أو مجلس، أو هيئة، ولا يترفَّع بِمَسْكَن، أو نفقة، نشأ فيهم، وبقي منهم، إذا جاءه السائل، لايميّزه من قومه، بل يسأل: أيّكم محمّد؟، وكان من هديه صلَّى الله عليه وسلَّم أَنَّهُ قال:"لاَ تَطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابن مَرْيَم، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْده، فَقُوْلُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُه"[البخاري، الصحيح، باب: (وَاْذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَم)، برقم: (3445)]..."إِنْ كِدْتمْ آنِفاً، تَفْعَلُوْنَ فِعْلَ فَارِس وَالرُّوْم، يَقُوْمُوْنَ عَلَى مُلُوْكِهِمْ وَهُمْ قُعُوْد، فَلاَ تَفْعَلُوا"[مسلم، الصحيح، باب: ائتمام المأموم بالإمام، برقم: (629)]..."هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ فِي هَذِهِ الْبَطْحَاءِ" [الحاكم، المستدرك على الصحيحين، باب: تفسير سورة ق، برقم: (3733)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ].

وعندما دخل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مكّة فاتحاً، وكاد رأسه أنْ يلامس سرج راحلته تواضعاً وشكراً لله، لأنّ ذلك اليوم هو يوم المرحمة، وفيه قال أبو سفيان للعباس – رضي الله عنهما –: لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيماً،بينما العباس رضي الله عنه يقول– مُصَحِّحاً المَفَاهِيْم–:(يا أبا سفيان، إِنَّهَا النُّبُوَّة، وَلَيْسَ المُلْك) [انظر: ابن هشام، السيرة النبويّة،52/4].

وكان التَّسْدِيْدُ مِن السَّمَاء، لِخُطُوَاتِ النُّبُوَّة، ودورها الفاعل في تقويم المجتمع بِشَرْعِ الله، مُسْتَمِرًّا، قال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِالغُدُوِّ وَالعَشِيِّ يُرِيْدُوْنَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيْدُ زِيْنَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) [سورة الكهف: 28]

الشخصيّة الإنسانيّة الربانية

إنّ الانفصال عن الناس، والانغماس في الرّفه والترف، هو من اللامبالاة بأمور المسلمين، الذي يُشِي بأنّ ثمَّة ما حذَّر منه الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، الَّذي هو" بَطَرُ الحَقّ، وَغَمْط النَّاس" [مسلم، الصحيح، باب: تحريم الكبر وبيانه، برقم: (275)]، فالفسق والبطر سبب الدّمار، قال تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا فَفَسَقُوْا فِيْهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيْراً) [سورة الإسراء: ١٦]، وهو طريق السّقوط والانقراض.

وعلى مرّ التاريخ فإنَّ الصّراع والتَّدافع الحضاري، هو بين (الملأ) المُتْرَف، المستأثر بكل شيء، الظّالم، المتسلّط، وبين جمهور الناس (القوم)، وقد جاءَتْ رسالة النُّبُوَّة في مواجهة مع (الملأ)، حَتىَّ حوَّلَتْ الصّرَاع والعدوان والحقد، إلى حُبّ وَتَعَاوُنٍ وَتَكَافُلٍ [انظر: أحمد عبادي، الإسلام.. وهموم الناس، ص: 29(تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنه، بتصرّف)].

إنّ النبوَّات بِشَكْلٍ عام، والنبوّة الخاتمة بشكلٍ أَخَصّ، ما جاءت إلاّ لإنقاذ الناس، وإلحاق الرّحمة بهم، في معاشهم ومعادهم، حتى لقد اعتبر الإسلام، نفع الناس، وتحقيق مصالحهم، وتفريج كربهم، وتقديم الخير والإحسان إليهم، من المعايير الدَّالة على خيريَّة المسلم، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم:"الْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ، وَلاَ خَيْرَ فِي مَنْ لاَ يُأْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ" [الشهاب القضاعي، المسند، باب: المؤمن إلف مألوف، برقم: (129). ذكره الألباني في "السلسلة

الصحيحة" 1 / 712]..ولم يقتصر الرّفق والنفع على الخلق من الناس، وإنّما تجاوز إلى استشعار المسؤوليّة عن الحيوان..وَحَسْبُنَا أن نُذَكِّر بحديث الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم:"فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطبَةٍ أَجْر" [متفق عليه: البخاري، الصحيح، باب: فضل سقي الماء، برقم : (2363)، وَ مسلم، الصحيح، باب : فضل ساقي البهائم المحترمة، برقم: (153)].

والمعروف أنّ خطاب التكليف الإسلامي، بأبعاده المتعدّدة، إنّما جاء عامّاً للرّجل والمرأة على سواء، عقيدة، وعبادة، ومعاملة، وأمراً، ونهياً، وموالاةً، وحقوقاً، وواجبات، وجعل الله ميزان الكرامة والفوز: التقوى والعمل الصالح، وليس الذكورة، ولا الأنوثة، لأنهما أمران قسريّة، لا يد للإنسان فيهما، ولذلك ليس مجرَّد الذكورة محل مسؤوليّة وتفضيل، وإنّما المسؤوليّة على الأمور التكليفية وفق الاستطاعة..وأن القوامة التي شرعها الله للرّجل هي في الحقيقة مسؤوليّة إشراف وأهليّة قيادة، بجانب كونها تشريفاً، وتكون الكرامة بالتقوى والعمل الصّالح..فخطاب التكليف الإسلامي عام، إلاّ من بعض المساحات الخاصّة التي ينفرد فيها الرّجل، أو تنفرد فيها المرأة، حسب الطّبيعة النوعيّة، ومقتضيات الوظيفة الاجتماعيّة.

العمل الصّالح مرآة الشخصيّة الإنسانيّة الربانيّة

المحور الذي يدور حول عمل التربية الإسلاميّة هو (الإنسان المسلم)، العابد العامل الذي يقوم بـ(العمل الصّالح) ويتقنه، لأنّ العمل الصّالح المُتْقَن هو علّة الخَلْق، ومادة الابتلاء والاختبار، في الدنيا، ومقياس الفلاح في الآخرة: (الَّذِيْ خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عملاً) [سورة الملك:2].

ولكن للأسف حصر بعض المسلمين– خلال عصور المذهبيّة والجمود، والاضطراب الفكري– مفهوم (العمل الصّالح) في الاستعمالات الجارية بالوعظ والتأليف والتدريس والمخاطبات العامة، في دوائر محدودة من العبادات والصّدقات والأخلاق الفرديّة البسيطة. بَيْدَ أنَّ العمل الصالح عام في كلِّ ما أمر الله عَزَّ وَجَلّ به ورسوله صلَّى الله عليه وسلَّم.

لقد ورد لفظ العمل في القرآن الكريم في (359) موضعاً، وفي جميع هذه المواضع يلحق بـ (العمل) إحدى صفتين اثنتين: إمّا صفة الصّلاح، أو صفة السُّوء، فيوصف العمل بأنّه (عمل صالح) أو (عمل سوء) أو (عمل غير صالح).

وَ(العمل الصّالح) هو الترجمة العمليّة، والتطبيق الأكمل للعلاقات التي حدّدتها التربية الإسلامية بين الإنسان والخالق، والكون والحياة، والإنسان والآخرة.

إنّ (العمل الصّالح) لا يقتصر على جلب الخير النافع، وإنّما يتعدَّاه إلى مُدَافَعَة الشّر الضّار، فالعمل الصّالح من حيث أثره ينقسم إلى قسمين:

(1) عمل هدفه جلب النافع للإنسان، والمرضي لله.

(2) عمل هدفه دفع الضّار عن الإنسان، والمغضب لله.

والإنسان الذي يمارس القسمين من العمل يطلق عليه اسم (الصَّالح – المصلح)، والذي يقتصر على القسم الأول يطلق عليه اسم (الصّالح) فقط. والقيام بأحد القسمين لا يغني عن الآخَر، لأنّ القسم الأوّل يفيد في الدَّفع إلى النّماء

والتقدّم؛ بينما يفيد القسم الثاني في المنع من البلاء والتشرذم [انظر: د.ماجد عرسان الكيلاني، مقومات الشخصية المسلمة، ص: 41 وما بعدها].

فالإنسان الصّالح المصلح، هو النموذج الذي تسعى التربية الإسلاميّة إلى تكوينه. ولذلك جاء في القرآن الكريم أنّ الخراب لا يلحق بالأمم التي تتكوّن من أفراد وجماعات صالحين مصلحين، ولكن الخراب ينزل بالأمم التي تضم أفراداً وجماعات صالحين غير مصلحين، قال تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُوْنَ)[سورة هود:117]، قال أبو جعفر الطبري: "يقول تعالى ذكره: وما كان ربك، يا محمّد، ليهلك القرى، التي أهلكها، التي قصَّ عليك نبأها، ظلمًا وأهلها مصلحون في أعمالهم، غير مسيئين، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربهم، ظلمًا، ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله وتماديهم في غَيِّهِم، وتكذيبهم رسلهم، وركوبهم السَّيئات.

وقد قيل: معنى ذلك: لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله. وذلك قوله: (بِظُلْمٍ) يعني: بشرك (وَأَهْلُهَا مُصْلِحُوْنَ)، فيما بينهم لا يتظالمون، ولكنهم يتعاطون الحق بينهم، وإن كانوا مشركين، إنما يهلكهم إذا تظالموا [انظر: أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 530/15].

وقال الشيخ ابن سعدي: أي وما كان الله ليهلك أهل القرى بظلم منه لهم والحال أنَّهم مصلحون أي مقيمون على الصَّلاح مستمرُّون عليه، فما كان الله ليهلكهم إلاَّ إذا ظلموا وقامت عليهم حُجَّة الله.

ويحتمل أن المعنى: وما كان ربك ليهلك القرى بظلمهم السابق إذا رجعوا وأصلحوا عملهم فإن الله يعفو عنهم ويمحو ما تقدَّم من ظُلْمِهِم [انظر: ابن سعدي، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ص: 329].

وثمَّة مبدأ النفعيّة لأيِّ عمل؛ أي يُقصَد من تأديته منفعة العامل. فالتربية الإسلامية لا تتنكّر لمثل هذا المبدأ، وأنَّ الفصل بين العمل والمنفعة، نوعٌ من المغالاة في المثاليّات، أو ثمَّة تأثُّر بمفاهيم تعذيب النَّفس، أو القصد بهذا الفصل تجريد العمل الإسلامي من الدّوافع إليه ومرغّباته. ولكن النفعيّة في المنظور الإسلامي نفعيَّة أكثر اتصالاً بطبيعة الإنسان وفطرته..فهي نفعيّة لا تقتصر على فرد أو جماعة، ثمّ تلحق الضَّرر بآخَر فرداً أو جماعة.

إنّ التربية الإسلاميّة تطلق اسم العمل على كلّ حركة مقرونة بهدف.. فكلّ حركة دون هدف لا تُسَمَّى عملاً. ولمّا كان الهدف من الحراك خاصاً بالإنسان، فإنّ القرآن أطلق اسم (العمل) على حراك الإنسان الهادف لجلب الخير، ودفع الشر (عمل صالح)، أو العكس: دفع الخير، وجلب الشر (عمل سوء).

أمّا حركات المخلوقات الأخرى، كحركة الشمس، والقمر، والرياح، فقد سمّاها ربّ العزَّة والجلال جرياناً، كما قال تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيْرُ العَزِيْزُ العَلِيْم * وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُوْنِ القَدِيْمِ) [سورة يس:38-39].. (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيْهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِيْن) [سورة الأنبياء:81].

فالعمل إذن: هو حركة وهدف.. وبتعبير آخر، هو: قدرة وإرادة، فإذا وُجِدَتْ القُدْرَة، وَوُجِدَتْ إلى جانبها الإرادة، يتولَّد العمل. [انظر: د.ماجد عرسان الكيلاني، مقومات الشخصية المسلمة، ص: 41 –47 (بتصرّف)].

الوسطيّة بين الأنانيّة والرهبانيّة

الأمر في الإسلام، لم يقتصر على إيقاظ الوازع الداخلي، وتربية الضمير، وتنمية الحِسّ بالآخرين فقط، وإنَّما تجاوَز إلى وضع التشريعات الملزمة، لتحقيق التكافل الاجتماعي، على كل الأصعدة، بالنفقات الواجبة والطَّوْعِيَّة، بل والكراهة التحريميّة بِمَنْعِ الفَضْل في ساعات الشدّة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم:"مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ"، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ [مسلم، الصحيح، باب: استحباب المؤاساة بفضول المال، برقم : (1728)]، يدلّ على أنّ النبوة إنّمَا بُعِثَتْ في الناس، وللناس.[انظر: أحمد عبادي، الإسلام .. وهموم الناس، ص: 29(تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنه، بتصرّف)]. ومن ذلك النهي عن أكل لحوم الأضاحي في ساعات الشدة للدّافة، نَهَى رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلاَثٍ. قَالَ عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمْرَةَ فَقَالَتْ: صَدَقَ، سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حِضْرَةَ الأَضْحَى زَمَنَ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم:"ادَّخِرُوا ثَلاَثًا ثُمَّ تَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ". فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ الأَسْقِيَةَ مِنْ ضَحَايَاهُمْ وَيَحْمِلُونَ مِنْهَا الْوَدَكَ. فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم:"وَمَا ذَاكَ". قَالُوا: نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلاَثٍ. فَقَالَ:"إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ الَّتِي دَفَّتْ فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا" [مسلم، الصحيح، باب: بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي، برقم: (5215)].

إنّ شمولية التصوُّر الإسلامي تُيَسِّر للمسلم الفرد والمجتمع تجسيد الارتباط بين الانتصار في ميدان المبادئ والانتصار على الشهوات، وبين الانتصار في المعارك الحربية، فليس هذا المسلم عقلانياً فقط، ولا مُتَصَوِّفاً فحسب، ولا مُقَاتِلاً بحتاً، إنّمَا هو كلّ هذا، فهو يحسن التفكير والتدبير، ويتفنّن في ترويض النَّفس وتزكيتها وعبادة الله سبحانه وتعالى، وينصر دينه وأمّته في ساحة الوغى [انظر: عبد العزيز كحيل، المسلم بين الربانية والإنسانية، موقع المسك الالكتروني].

إنّ الخزي والهزيمة النفسيّة التي لحقت ببعض أفراد هذه الأمة، لم تعُد تقتصر على أضعف الإيمان، الوارد في الحديث: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ" [مسلم، الصحيح، باب: بيان كون النهي عن المنكر، برقم:(78)].

وأضعف الإيمان، بحسب الفهم من الحديث، هو الاحتفاظ بالحق، الاحتفاظ بالقضيّة في مرحلة العجز والسقوط، وتحيُّن الفرص للتقوّي، وبناء الذات، لمعاودة طرحها، والعمل على

إظهارها، والإغراء بها، وهو في بِعْضِ صُوَرِه، لون من الانحناء للعاصفة، والرّيح العاتية، حتى تمرّ، ومن ثمّ معاودة الانتصاب، والوقوف لمتابعة النمو، والسّير بالحق، والقيام به، فهو كالنبات الليّن، قد تُمِيْلُهُ الرِّيْحُ العَاتِيَة، لكن لا تلغيه، وإنّما يعود إلى النّهوض والنمو، بل قد تكون الرّيح القويّة سبباً في إنمائه، وتمكينه من الأرض. [محمود توفيق محمد سعد، فقه تغيير المنكر، ص: 22 – 23 (تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنه، بتصرّف)].

وقد لا يكون مستغرباً أن تُختَزَل رسالة الإسلام بقول الرّسول صلَّى الله عليه وسلَّم:"الدّين النّصيحة" [البخاري، الصحيح، باب: قول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم:"الدّين النّصيحة"، برقم: (42)]، فهي من جوامع الكلم، وجماع الأمر كلّه، وأن تكون المناصحة من التكاليف الكبيرة والمسؤوليّات العظيمة، وأن يكون أحبّ الجهاد إلى الله عزَّ وجل: " كَلِمَةُ حَقٍّ تُقَالُ لإِمَامٍ جَائِر" [البيهقي، السنن، باب: ما استدلّ على القضاء، برقم : (20680)].

ومِنْ دعاء رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ" [النسائي، السنن، كتاب السهو، نوع آخر، برقم: (1305)، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم (130)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم:"أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ"، [أبو داود، السنن، باب : الأمر والنّهي، برقم : (4344)]

وكلمة عدل هي الكلمة الوسط للأمة الوسط، لحديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم:"يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: (وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْداً) [البقرة: 143] فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُوْنُوْا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْداً) [سورة البقرة: 143] " وَالوَسَطُ: العَدْلُ. [البخاري، الصحيح، باب: قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم شهداء على الناس)، برقم : (4487)]، والتّي ليس بالضّرورة أن تكون هذه الكلمة عنيفة، وزاجرة، إذ يكفيها القول اللّين: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُوْلاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [سورة طه : 43 –44]؛ لتكون أوقع في النفس، فما تلبث حتّى: (وَقَالَ فِرْعَوْن ذَرُوْنِي أَقْتُلُ مُوْسَى وَلْيَدْعُ رَبَّه إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِيْنَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَاد * وَقَالَ مُوْسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسَاب * وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْن يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ أَتَقْتُلُوْنَ رَجُلاً يَقُوْلُ رَبِّي الله وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضَ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِيْ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّاب [سورة غافر : 26 – 28]

وأعلى (كلمة حقّ)..إثبات ربوبيّة الله جلَّ جلاله، وألوهيّته، وحُسْن أسمائه، وعلوّ صفاته .. وفي المقابل إثبات عبوديّة الإنسان، وظلمه، وجهله – ابتداء – بالأمانة الملقاة على عاتقه، والرّسالة التي يحملها: (وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوْماً جَهُوْلاً) [سورة الأحزاب: 72]؛ فإنْ كان من لديه الاستعداد لأن يضحّي بنفسه، لإيقاظ أمّة من سباتها، وذلك بالوقوف أمام الإمام الظالم، يأمره

وينهاه، وَمِنْ ثمّ يدفع ثمناً لذلك حياته في الدنيا الفانية، لكنّه في الآخرة الباقية، يحوز الدّرجات العلى، يأتي في المرتبة بعد سيّد الشُّهَدَاء:"سَيِّدُ الشُّهَدَاء حَمْزَة بن عَبْد المُطَّلِب، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ، فَقَتَلَهُ" [الحاكم، المستدرك على الصحيحين، باب: ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب، برقم : (4884)، قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرّجاه].

ولاشكّ أنّ الخلاف والشقاق في المجتمع المسلم من المنكر الذي يحاربه الإسلام، ويسعى إلى ضبطه ومكافحته، وقدّم آليَّة خالدة عامَّة في إصلاح ذات البَيْن: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلُوْا فَأَصْلِحُوْا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوْا الَّتِي تَبْغِيْ حَتَّى تَفِيءَ إِلَىَ أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوْا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوْا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِيْن) [سورة الحجرات: 9].

فالنّزاع من إرهاصات تفكّك المجتمع، ولابدّ أن يُتدارك ذلك بالإصلاح بين الناس، وهذا الإصلاح

– في المنظور الإسلامي– واجبٌ دينيٌّ، وقُربةٌ عظيمة ينال بها المُصْلِحُ الأجرَ العظيم عند الله، قال تعالى:(لاَ خَيْرَ فِي كَثِيْرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مِنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوْفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيْهِ أَجْراً عَظِيْمًا) [سورة النساء: 114] وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: " أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلٍ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَة" قالوا: بلى، قال: "إِصْلاَحُ ذَاتَ البَيْن، وَفَسَادُ ذَاتُ البيْن الحَالِقَة"[أبو داود، السنن، باب: في إصلاح ذات البين، برقم: (4921)]

قدوة الوسطيّة الأنموذجيَّة

إنّ ابتعاث الرّسول من البشر، الذي يجري عليه ما يجري على سائر البشر من الضّعف والقوّة والصحّة والمرض، إلاّ ما كان بسبب الاتصال بالوحي تسديداً وتأييداً، والعصمة من أيّ مناقضة للنبوة والبلاغ أو خرم لوسائلها، هو الأمر الطبيعي .. إذْ كيف يمكن أن يشكّل قدوةً وأنموذجاً للبشر، ودليلاً على واقعيّة الأحكام الشرعيّة، وإمكانيّة تجسّدها من حياة البشر من لا يحسّ إحساس البشر، ولا يطيق طاقاتهم، ولا يتعرّض لِعَوَارِضِهِم؟ لذلك نقول: إنّ الإشكاليّة، كلّ الإشكاليّة، ألاّ يكون الرّسول من البشر [أحمد بوعود، فقه الواقع: أصول وضوابط، ص:21 (تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنه)].

وهذه البشريّة، جعلت حياة الرّسول صلَّى الله عليه وسلَّم كحياة البشر، دون تميُّز عمّن حوله، لذلك كان الأعرابي إذا غشي المجلس يقول: أيُّكُم محمّد؟، فهذه البشريّة تعتبر فيصلاً في مجال العبودية والتديّن، والتأسّي والاقتداء، الذي هو السَّبيل لإعادة بناء النخبة، وتشكيل الأمّة .

ولهذا المنطلق أهميّة قصوى في مجال العقيدة، والعبادة، والسّلوك، والدّعوة، والتأسّي والاقتداء، ونعرض فيما يلي القدوة الأنموذجيَّة:

لمَّا كان يوم بدر قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟"، فقال أبو بكر: يا رسول الله، قومُك وأهلُك، استَبْقِهِم واستأْنِ بهم، لعلّ الله أن يتوبَ عليهم، وقال عمر : يارسول الله، أَخْرَجُوك وَكَذَّبُوك، قرّبْهُم فاضْرِبْ أعناقهم، وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، انظر وادياً كثير الحطب، فأدْخِلْهُم فيه، ثمّ أضَرِم عليهم ناراً، فقال العبّاس: قطَعْتَ رحمَك، فدخل

رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولم يَرُدّ عليهم شيئاً، فقال ناسٌ: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناسٌ: يأخذ بقول عمر، وقال ناسٌ: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، فخرج عليهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال:"إنّ الله لَيُلَين قلوبَ رجال فيه حتى تكون ألينَ من اللّبَن، وإنّ الله ليشُدُّ قلوبَ رجال فيه حتى تكون أشدَّ من الحجارة، وإنّ مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السَّلام قال: (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيْم) [إبراهيم: 36]، ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السَّلام قال: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيْزُ الحَكِيْم) [المائدة: 118]، وإنّ مثلك يا عمر كمثل نوح عليه السَّلام قال:(رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِيْنَ دَيَّارًا) [نوح: 26]، وإنّ مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السَّلام قال: (وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوْبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوْا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيْم)[يونس: 88] أَنْتُمْ عَالَةٌ فَلاَ يَنْفَلِتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبَةِ عُنُقٍ" قَالَ عَبْدُ اللَّهِ – ابن مسعود: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلاَّ سُهَيْلُ ابْنُ بَيْضَاءَ، فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ الإِسْلاَمَ، قَالَ: فَسَكَتَ، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُنِي فِي يَوْمٍ أَخْوَفَ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى قَالَ: "إِلاَّ سُهَيْلُ ابْنُ بَيْضَاءَ"، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عزَّ وجل: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ أَسْرَى حَتىَّ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيْدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيْدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيْزٌ حَكِيْم * لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لمَسَّكُمْ فِيْمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيم) [الأنفال: 67 – 68] [أحمد بن حنبل، المسند، مسند عبد الله بن مسعود، برقم: (3505)].

وإذا كان موقف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وَسَطاً بين صاحبَيه (أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر الفاروق رضي الله عنه)؛ فإنّ موقفه صلَّى الله عليه وسلَّم وسطٌ بين أولي العزم من الرّسل، وهو الرَّاجي صلَّى الله عليه وسلَّم في قصّة الأخشبين: "...بل أرجُو اللهَ أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" [صحيح مسلم، باب : ما لقي النبي صلَّى الله عليه وسلَّم من أذى المشركين، برقم: (4754)] .

لذلك تبقى القدوة الأعلى والأرفع، هي الرّسول صلَّى الله عليه وسلَّم في تفكيره ومشاعره، وسلوكه وهديه جميعًا، فهو النّموذج الأمثل للدُّعاة الهُدَاة، الصّالحين المصلحين، ينبغي التماس مواطن القدوة في أقواله وأفعاله وحياته كلّها بنظرٍ ثاقبٍ، وبَصَرٍ وَاعٍ، وفهمٍ عميقٍ؛ يُحْسِنُ الإحاطة بِمُلاَبَسَاتِ الزمان والمكان والحال، بل والمآل.

وربّما ليس مُهِمّاً اقتناء الكَمّ والعَدَد، ولكنّ المهمّ اعتناء الكيف وَالنَّوع، واقتفاء نهج السُّنن الجارية..فيكفي:(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُوْنَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْن) [سورة آل عمران:104]، كمَا يكفي: (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْنِ وَلِيُنْذِرُوْا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوْا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُوْن) [سورة التوبة: 122]؛ لأنّ "النَّاس مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ: خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ" [مسلم، الصحيح، باب: الأرواح جنود مجنّدة، برقم: (6877)] .

الخاتمة

إنّ شخصيَّة المسلم الإنساني الربَّاني المراد تكوينها في عالم متغيّر، سواء كان رجلاً، أو امرأة، أنْ يضطلع بالشَّهادة على النَّاس، الَّذي يتطلَّب خروجه من إطار التديُّن الفردي والطُّقوسي

إلى رحاب الشُّهود الحضاري؛ يسعى لإصلاح المجتمع من الظُّلم بأنواعه وفق منهج الاعتدال والوسطية، الَّذي نهجه السَّلف الصَّالح، وينتصر للفقراء والمستضعفين، ويدافع عن حقوق الإنسان والحريَّات بجميع مستوياتها، ويرفض التَّرف والرّذيلة، ويُبَشِّر بالحياة الطيّبة، ويساهم في إرساء قواعدها وتنمية عناصرها تربوياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفنياً، على هدي الوحي المنزَّل والتَّجارب الإنسانية المفيدة عبر العصور، ويستعين بإيجابيَّات (الآخَر) في النظام والإتقان والبحث العلمي والعمل المؤسَّسي ورفع شأن ذوي الكفاءات، ويستعمل هذه الأدوات لتبليغ رسالة الإسلام بالقدوة الحميدة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل – إن اقتضاه– بالَّتي هي أحسن.

وهذا المسلم المنشود يتعلّم من إسلامه أَلاَّ يَسْتَسْلِمَ للقدر كـَ (الجبريّين)، وإنّما يواجه هذا القَدَر بِقَدَرٍ أَحَبّ إلى الله منه؛ ليُخْرِجَ النَّاس من ظلمات الجهل والاستبداد والفوضى والتخلُّف الرَّجعي إلى نور العلم والإصلاح والنظام والتقدُّم المستدام، بِأَنْ ينتقل من إهمال النَّص إلى إعمال النَّص، ومن التبرُّك بالقرآن إلى الاهتداء به، ومن النَّظر السَّطحي للسُّنَّة النبويَّة إلى الفقه المقاصدي بتجسيد قِيَمِها الكريمة في العلاقات الأُسَرِيَّة والاجتماعيَّة، ولا يخلط بين الأصول والفروع، ويُحْسِن التَّمييز بين الكُلِّيات والجزئيات، وَمِنْ أهمّ ميزاته البُعد الإنساني بالجمع التَّوافقي المتوازن بين التَّميُّز بالإيمان، والسُّمو بالإحسان، وموضع التَّوازن والتَّوسُّط هو الأصعب دائمًا، لكنّه الأنسب لصاحب رسالة الحضارة والشَّهادة على النَّاس، وذلك بالمسارعة إلى فعل الخيرات وترك المنكرات: (وَسَارِعُوْا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَات وَالأَرْض أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِين)[سورة آل عمران: 133]، ليتمّ تحويل الشِّعار إلى شعيرة: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللهُ لجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَة وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوْا الخَيْرَات) [سورة المائدة:4]، والفكر إلى فِعْل: (فَفِرُّوْا إِلىَ اللهِ) [سورة الذاريات: 50]، والانتقال مِنْ مَرْحَلَةِ التَّنظيرِ التَّرْبَوِي إلى مرحلة التَّغيير التَّنْمَوِي: (إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[سورة الرعد:11]، والعودة إلى التّجديد، والاجتهاد في ميادين العبوديَّة: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِيْنَ * وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُوْن * مَا أُرِيْدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيْدُ أَنْ يُطْعِمُوْن) [سورة الذاريات: 55–57]؛ لتقديم الإنسان الأنموذج، الذي يثير الاقتداء بعلمه وعمله وسلوكه.

وقد توصَّل البحث إلى النتائج الآتية:

1– أنَّ مطلب الشخصيَّة المسلمة (الإنسانيَّة في طَبْعِهَا، والرَّبانيَّة في توجُّهها) هو التوسُّط والاعتدال في الاهتمام بالجانبين: الدِّيني والدُّنيوي، مع الاهتمام بمصالح الآخرين وإصلاحهم.

2– أنَّ تميُّز المسلم؛ هو اتِّصافه بالرَّبانية والتزامه بالأخلاقيَّة في جميع أنشطته الذاتية وخدماته المجتمعيَّة، وسعيه إلى التفوُّق المادِّي مع السُّمو الروحي، وربطه الدُّنيا بالآخِرة.

3– أنّ المسلم الذي يُخرجه كتاب الله عزَّ وجل وسنّة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم من خلال منهج التربية الإسلاميَّة ومطلب التَّنشئة الاجتماعيَّة، هو الشخصيَّة التي تجمع بين الرَّبانية والإنسانيَّة، شخصية صالحة في ذاتها مُصْلِحَة لغيرها، نافعة في دنياها وتسعى للفلاح في أُخْرَاها، وسطيَّة في مُنْطَلَقِها وَمَوْقِفِهَا شاهدة على غيرها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم. مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن هشام، السيرة النبوية، مع شرح أبي ذر الخشني.

ابن سعدي، عبد الرحمن السعدي.1421هـ. تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن معلاّ اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. 1387– 1421هـ. التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد، تحقيق: مجموعة من المحققين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ط2.

ابن ماجة، محمد بن يزيد. د.ت. سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي).

الألباني، محمد ناصر الدين.1415هـ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة)، مكتبة المعارف، ط1.

الألباني، محمد ناصر الدين.1417هـ، صحيح سنن ابن ماجة – ضعيف سنن ابن ماجة، مكتبة المعارف، ط1.

الألباني، محمد ناصر الدين.1419هـ، صحيح سنن النسائي– ضعيف سنن النسائي، مكتبة المعارف، ط1.

البخاري، محمد بن اسماعيل. 1423هـ. صحيح البخاري، دار ابن كثير: دمشق – بيروت، ط1.

بوعود، أحمد . 1421هـ. فقه الواقع:أصول وضوابط (تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنه)، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة قطر، ط1.

الحاكم، محمد بن عبد الله. 1422هـ. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 2.

سعد، محمود توفيق محمد . 1415هـ. فقه تغيير المنكر (تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنه)، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة قطر، ط1.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير .1420هـ. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1.

عبادي، أحمد عبادي . 1416هـ. الإسلام .. وهموم الناس (تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنه)، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة قطر، ط1.

الكيلاني، ماجد عرسان .1411هـ. مقوّمات الشخصيّة المسلمة أو الإنسان الصّالح، (تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنه)، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة قطر، ط1.

مسلم، مسلم بن الحجاج.1427هـ. صحيح مسلم،تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط1.

المراجع من الانترنت:

كحيل، عبد العزيز. 6 جماد الثاني 1432هـ. المسلم بين الربانيّة والإنسانيّة، موقع المسك، 4893http://almisk.net/ar/article.php?id=